المجمع 22 (1447/ 2026). 359-386

كلام أهل النار في القرآن الكريم: مقاربة نحوية بلاغية

عبد الودود البوكيلي[1]

Words of the People of Hell: A Rhetorical Grammatical Approach

Abd el Ouadoude Elboukili

Abstract

This article seeks to uncover hidden aspects of the Quran, focusing on verses that address the rhetoric of the people of hell. It examines a diverse set of verses, their formulations, and the discourses they contain. More specifically, the study describes and analyses the cognitive and linguistic dualities in Quranic verses that directly tackle issues related to the rhetoric of the people of hell, shedding light on key rhetorical purposes and structural advantages across various discursive contexts. Since this matter is scattered across various chapters of the Quran, the article cannot cover it all. Hence, this paper is limited to verses in which the intended meaning is explicit.

Keywords: Islam, Quran, theology, rhetoric, hell

الملخَّص

حاولت هذه المقالة المختصرة الكشف عن خفايا الكتاب العزيز الكامنة في بعضٍ مّن آيات تناولت كلام أهل النَّار، وقد اهتم نظرُ هذه الحروف بآياتٍ متنوِّعة في صياغتها والحوارات التي جاءت فيها، ثم لكون هذا الأمر قد تناثر في سور من القرآن الكريم، ولا يمكن أن تستوعب المقالة كل ذلك؛ اقتصرت هذه الورقة على آيات ظهر فيها المراد، بحيث ارتكز أسّها على بيّنات معرفيَّةٍ ولغويَّةٍ استُعين بها في تحليل الآيات؛ بهدف تذوق سر مجيء كلام أهل النار في تلك الصيغ المهرة، واستنباطِ أهمِ الأغراض البلاغية والفوائد التركيبية في مختلِف تلك المساقات المختارة، من خلال منهج معتمدٍ على الوصف والتحليل، وبذلك كان بناء الورقة في مقدمة باسطة أهميَّة الموضوع وما كتب فيه مع إبداء إشكاليته، ثم مبحثين تضمنَّا الآيات التي اختيرت لتكون محلا للتحليل والمقاربة موزعة في مشاهد واصفة؛ رجاء بلوغ القصد، ثم خاتمة جمعت أهمَّ الفوائد المنتشرة في تضاعيف البحث.

[1] جامعة القاضي عياض، المغرب.

مقدّمة:

تروم هذه المقالة الحديث عن نماذج مختارة من القرآن الكريم تمحورت حول كلام أصحاب النار؛ وذلك لما خصَّه الله لهذه الطائفة من مواضع شتى في كتابه، شخَّصت أحوالهم، وخَلَّدت حواراتهم وأدعيتهم؛ مما جعل مصيرهم راسخا واضحا في الأذهان، ينتفع به العقلاء في عالم الأعيان.

ولهذا الموضوع أهمية تتمثل في كون كلامهم ورد كثيرا في القرآن؛ مما يستدعي البحث فيه، ولكونه جاء على طرائق متنوعة، وسِيق في صِيغ باهرة بالغة، تتضمن لطائف بلاغية، وحِكما نحوية، ولغناء هذا الموضوع الطريف؛ اكتسبت المقالة أهميتها، ولا ريب أنَّ القرآن عظيم، وكل موضوع تكرر فيه على هيئات متعددة؛ فهو بلا شك ذو شأن كبير، وتزداد أهمية موضوع المقالة إذا أدركنا ما كُتب فيه، مما سطَّره الباحثون أمثال: ساجدة عماد عبد الكريم الشيخ في بحْثٍ لنيل درجة الماجستير في التفسير، بعنوان: **النظم القرآني في حوار أهل الجنة وأهل النار**. وكذلك ما تقدمت به الباحثة؛ هالة سعيد مقبل لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في بحث وسمته بـ: **الحوار في مشاهد القيامة دراسة دلالية بيانية**، لا سيما ما خَطَّته نازلين عمر عبد الرحمن في بحث موسوم بـ: **حوار أهل الجنة وأهل النار في القرآن الكريم؛ دراسة دلالية تقابلية**، وغيرها كثير[2].

[2]- وذلك مثل بحث: **حوار بين أهل الجنة والنار** للدكتور الشيخ محمد الصادقي، لا سيما مقالة بعنوان: **مشهد الحوار بين أصحاب الجنة والنار والأعراف في سورة الأعراف**، من نجيز: عماد زهير حافظ، وهي منشورة بمجلة العلوم الشرعية، العدد السادس عشر رجب 1431هـ.

لأجل هذا وغيره[3]؛ فإنَّ غاية هذه الورقة؛ هو أن تكشف عن اللطائف البلاغية، والأساليب الفنية، المتضمنة في كلام أهل النار، سواء في محاوراتهم لبعضهم أو في دعائهم[4] أو غير ذلك، من بعد إدخالهم النار، وإذاقتهم من سموم حرها، وما يكون من جواب لهم عن دعائهم ذاك، وبناء على فحوى الكلام الآنف وَسمتُ هذه المقالة بـ:" **كلام أهل النار في القرآن الكريم؛ مقاربة نحويّة بلاغيّة**".

لمّا تلونت أساليب القرآن الكريم في عرض هذه الواقعة -شأنه فيها كما في وقائع أخرى- منبئا عنها بما يجعلها مشاهد فنية رائعة، تنوعت بذلك مواردُها، وفئات المقصودين فيها، ثمَّ بناء على العِناية التي أوْلاها النَّص القرآني لهذا الفريق من الناس، انشغلت فكرة هذه المقالة في محاولة كشف طبيعة كلام أصحاب النار، وحاجتهم للحديث في ذلك الجحيم؛ مما بثّ في النفس حافزا للجواب عن ذلك؛ لمعرفة إلى أي حد بدَتْ براعة ذلك النوع الفريد من الخطاب، وتجلياته؟ ولإدناء جوهر إشكالية المقالة إلى الأفهام نقدم بين يدي تحرير الآيات وتحليل أسيقتها جملة من الأسئلة المنفتقة عن نظر في البلاغة القرآنية، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

لمَ خصَّ القرآنُ الكريم آياتٍ تقصُّ كلامَ أهلِ جهنَّم، وما أثر ذلك في المتلقي عن الله كلامَه؟ ولماذا ذهب أهل النار على ما هم فيه إلى محاورة بعضهم بعضا؟ وكيف تغايرت ردود بعضهم على بعض في حمأة الجحيم؟ ولماذا يدعون وقد أيقنوا بخلودهم بعد تصفية الحساب؟ وكيف يكون دعاؤهم؟ ولمن يُوجَّه؟

[3]- وهو باعث نفسي تجاه هذه الآيات بأن ننال نصيبا من الفهم فيها، وكتب شيء مما غاب عن غيرنا.

[4]- تدخل مفردة الدعاء في مفاهيم كثيرة، كالنصيحة والاستِتَابة، والصلاة في وضعها اللغوي دعاء، وجاء عند أصحاب التعريفات بكون الدعاء لغة: هو النداء والطلب، في الاصطلاح كلامٌ إنشائي دالٌ على الطلب مع خضوع ويسمى سُؤالاً، ويبدو من كلا التعريفين؛ بأنهما يفصحان عن المعنى الحقيقي الذي يراد من دعاء أهل النار، فدعاؤهم إذن طلب ونداء. التعريفات الفقهية، البركتي، 95.

حينما كانت قضية النَّار من أهم القضايا التي اعتنى بها القرآن الكريم في مواطن شتى من سوره كأنها رأي عين[5]؛ حيثُ وصفَها ووصف أهلَها، وبيَّنَ الأعمالَ الموجبَة لها، ولمَّا تردد كلامهم

[5]- يثور ههنا سؤال ينبغي بذل الإجابة له، وهو: هل النار مخلوقة منذ زمن أم ستخلق يوم الحساب؟ وإن كانت كذلك فهل هي موجودة الآن؟

نعم، إن النار مخلوقة أثناء خلق الكون، وشأنها شأن الجنة، وقد جعلها الله تعالى وعيدا للكافرين، كما جعل الجنة وعدا للمؤمنين، وحيث لا يمكن أن يُخوّف الله عباده بشيء لم يُخلق بعد، استلزم أن موجودة قبل خلق الناس، وتدل صيغ القرآن الكريم على ذلك، كما في قوله تعالى:(فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ) البقرة الآية 23. تلحظ في الآية أنه قال "أعدت للكافرين" بصيغة الماضي؛ مما يعكس أنها مُعدة من قبل لذلك الصنف وقوله كذلك (إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَاراً) الكهف الآية 29. فظاهر القرآن يدل على أن النار خلقها الله تعالى، وجعلها نذارة للخلق من الجن والإنس.

ومما يدلُّ على أنَّها موجودة الآن ما رواه مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» (2844) فهذا الحديث ينبئ عن قضية كونها مخلوقة بشهادة الرسول عليه السلام في إخباره للصحب بالحجر الذي بلغ قعر جهنم، ويُستفاد منه أيضا؛ بُعد قعر جهنم، حيث استغرق الحجر هاويا فيها سبعين عاما، علما بأن الشيء إذا هوى إلى قاعٍ تزداد سرعته، وأنها في أسفل سافلين؛ بل هي دركات، وأشد عذابا فيها دركةٌ تحتوش المنافقين كما صرّح بذلك القرآن الكريم، ويُضاف لهذا: أن لها سبعة أبواب.

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك الدالة على أنها موجودة الآن، وأن لها أحوالا في نفسها؛ ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ "(617) علّق الإمام النووي رحمه الله على هذا الحديث بنقل كلام القاضي عياض عليه الرحمة، ونصه: قَالَ الْقَاضِي اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ **وَاشْتَكَتْ حَقِيقَةً** وَشِدَّةُ الْحَرِّ مِنْ وَهَجِهَا وَفَيْحِهَا وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا إِدْرَاكًا وَتَمْيِيزًا بِحَيْثُ تَكَلَّمَتْ بِهَذَا، وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ النَّارَ مَخْلُوقَةٌ قَالَ وَقِيلَ لَيْسَ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ بَلْ هُوَ عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ وَالِاسْتِعَارَةِ وَالتَّقْرِيبِ وَتَقْدِيرُهُ أَنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ يُشْبِهُ نَارَ جَهَنَّمَ فَاحْذَرُوهُ وَاجْتَنِبُوا حَرُورَهُ قَالَ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ **قُلْتُ وَالصَّوَابُ**

ودعاؤهم غير مرة؛ اقتضى ذلك أن نقف وِقفة بيانيةً تستتبع صِيغَ كلامهم؛ من أجل لحْظ تنَوُّعها من حيثُ المخاطَبُ والخطاب، وكيف تُدُووِل كلامُهم واستجيب لتلكم الأدعية من خلال توظيف منهج **وصفي**؛ يصف تلك المشاهد وما حفّها، **وتحليلي** ينظر في العبارات ومعانيها، وأنماط تآلفها وأخذ بعضها ببعض؛ ممّا يعين على دَرْك المقصود، *سِرنا فيه على نهج القدامى* من المفسرين اللغويين في تثوير معاني الآيات، وحاصل الأمر مَصُوغٌ في مبحثين اثنين تحت كل واحد منهما مشاهد تتضمن تحليل الآيات، وأهمّ اللطائف والفوائد.

الْأَوَّلُ لِأَنَّهُ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ وَلَا مَانِعَ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى حَقِيقَتِهِ فَوَجَبَ الْحُكْمُ بِأَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ" شرح النووي على مسلم 120/5.

بَيّنٌ من نص النووي في شرحه؛ أن النار مخلوقة، وأن ذلك الشكاة منها حاصلة حقيقة؛ إذ لا يمكن أن يشتكي من لم يخلق، فهي بذلك موجودة الآن، وهو مذهب الصواب والراجح عن علماء الأمة. ويعضد هذا المذهب ما أثبته الطحاوي في عقيدته قائلا:" وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تبيدان" متن الطحاوية، 73. فهذه الكلمة منه-رحمه الله- تنص صراحة على خلق الجنة والنار، وأنّ عوادي الدهر، ومجريات الزمان لا تجري عليهما؛ فهما بذاك لا يفنى ما فيهما خالد أبدا، ولا ينعدم وجودهما؛ إذ الجنة والنار لا يلحقهما زوال. ولعل فيما أوردناه دليلا وبيانا وتعليلا لِما أردناه.

المبحث الأول: تكليم أهل النار بعضهم بعضا بين الجدال واللعان

يبغي هذا المبحث نظرَ استطلاعٍ وصفي، وكشفا تحليليا لحوارات دارت بيْن سكنةِ الجحيم وجيرانهم في تلك الدار؛ بغية استشفافٍ من النص القرآني طريقة عرضه لهذه المسألة، واقتباس المآخذ اللغويَّة التي بُني عليها ذلك الكلام، ونوعيَّة خطابهم، من خلال مشهدين:

أ. المشهد الأول: بلاغة المحاججة في حديث أهل النار

يتمثل في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ٤٦ ۝ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ٤٨ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠﴾[6].

تصف الآية الكريمة حوارا متبادلا بين طائفتين من الخلق؛ كانوا على وصْلٍ في الدنيا؛ فآل بهم جُرْمُهم إلى سواء الجحيم؛ حيث صُدِّر الخطاب في مستهلِّه ببيان عاقبة الذين كانوا مع فرعونَ مِن الحشم والخدم، ومَنْ لَهُم به علائق قربى نسبا واعتقادا؛ إذ أنَّ لهم أقصى رتبة من العذاب؛ لأنهم مَثلٌ للأمم السالفة، لذا ضُربوا عظة وتخويفا لكل من سلك سبيلَهم من المشركين.

بيد أنَّه من حيث بنيةُ الجملة القرآنية فيمكن أن يقال: في الكلام تقديم وتأخير؛ إذ المعنى أدخلوا ءال فرعون أشد العذاب يوم تقوم الساعة[7]؛ ولتحقيق هذا النبأ في قلوب القَرَأة

---

[6]- سورة غافر، الآية 46-50.

[7] استدل العلماء بهذه الآية على كينونة عذاب القبر ونعيمه؛ لأن عرضَ آل فرعون على النار غدوا وعشيا قرينة على أن ذلك في القبر، ويعضده كذلك العطف الذي في قوله سبحانه في الآية المدروسة (ويوم تقوم الساعة...) حيث أوتي بالواو دلالة على تعدد العذاب؛ أي: أنه كائن في القبر ثم هو أشد يوم تقوم الساعة. ولمزيد تبصر في حقائق هذا الأمر ينظر مثلا: **مفاتيح الغيب**، لفخر الدين الرازي، ج 27/ 521.

والسامعين صِيغت الآية -ابتداء- من ظرف زمان، المتمثل في "**يوم**" المتعلق بقول محذوف[8]؛ إيماء إلى أن ذلك القضاء الذي يصدر فيه هذا الحكم؛ يُسمَّى يوما؛ لكنّه ليس كسائر الأيام. وإذا اعُتبر ترتيب التقديم والتأخير؛ فإنَّ أوَّل ما يقرعُ السَّمع؛ هو خبر دخول آل فرعون أشدَّ العذاب، وفي ذلك من تحقيق المصير؛ لنفوذ الأمر الرباني بلا تردد ولا ريب، المستفاد من **فعل الأمر** "أدخِلوا"، فالمخاطَب الملائكة التي تفعل الأمر كما يجِب من غير تغيير أو توانٍ في إنجازه، ويشعر فعل الأمر "أدخلوا" القسوة في تنفيذ الجزاء، واقتياد المجرمين كُرها إلى العذاب، وكان بالإمكان أن يعدل القرآن عن فعل الأمر إلى التعبير بالماضي أو بالمستقبل المقرون بالسين مثلا" سيدخل آل فرعون"، لكن ارتضى أن يكون الفعل أمرا مباشرا إلى حرّاس جهنَّم؛ ترسيخا لتحققه، وإمعانا في إذلالهم، كأنهم يقادون إلى سِجن من اللهيب الحارق.

ولتفخيم هول المشهد وأثر فزعه في الخلق؛ وُصف العذاب بالشدة؛ بل إنَّ لفظ "**أشد**" في الآية أُقيم مقامَ المفعول، وأُضيف له العذاب، عِوض التعبير بـ" أدخلوهم عذابا شديدا" على نحو ما ورد في بعض الآيات؛ وعلة ذلك أن يكون الوصف أدقَّ، مما يُكسب التركيب قوة؛ لأن التعبير القرآني نقل المعنى من مجرد الوصف إلى تشخيص أقصى درجات السعير، فكأنهم داخلون للذي هو أعظم مما عُرضوا عليه من العذاب؛ إذ هو "أشد عذاب جهنم فإن عذابها ألوان بعضها أشد من بعض"[9].

ثمَّ عُطف على هذه الآية المتضمنة لأشدِّ العذاب جملةٌ ثانية بالواو -إشراكا لمَن بعدها لِمَا قبلها في الجزاء-، وظرف ما تقدم من الزمن في" وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ"، بحيث إنَّ التعبير بـ"إذ" يُقدَّر له: واذكر، فكأنَّ الحوار لحصوله بلا ارتياب كان من قبلُ؛ لذلك صِيغت الجملة القرآنية في قالب الذِّكر والحكاية على سالف واقع؛ للتحقيق والتَّوكيد، وإيثارَ القرآن الكريم لهذا الفعل بهذه الصيغة "**تفاعل**" المفيدة للاشتراك[10]، إشارة منه إلى أن الصنيعَ وقع من قِبلهم جميعا، مع

[8]- ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، 493/8.

[9]- روح المعاني، الألوسي، 326/12.

[10] ينظر: شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، 46.

استحضار ما في هذا التحاجّ من المنازعةِ والمقارعة؛ فكلٌّ يلقي قوله للآخر في لحظة واحدة، فلا يستفيد فريق من غيره.

ويرى القارئ أنَّ القرآن الكريم اصطفى فعل "**حاجّ**"[11] بدَل "خاصم" أو "جادل"؛ لأنَّ الموقف مهُول، احْتيج أن يُوصف بفعل يدلُّ على احتدام المجادلة؛ لكنْ عن طريق الجدال القائم على الحجة والبرهان، الذي تُستنفر فيه أمور عقلية؛ قصد إثبات الحجة وإرغام الطرف الآخَر، وليس أن يكون ذلك مِراءً غُفلا من كلِّ حجةٍ تُثْبت القول، وما قدَّمه الضعفاء في هذا السياق فيه شيء من الحجة في حكاية الاقتداء واتِّبَاع الأسياد.

ثمَّ إنَّ هذا" الاحتجاج من جانبين فأكثر؛ أي: إقامة كل فريق حجته وهو يقتضي وقوع خلاف بيْن المتحاجِّين؛ إذ الحجة تأييد لدعوى لدفع الشك في صحتها"[12]، وأُوثر زمنُ **المضارع** في الفعل؛ لتكرر الحدث وتجدده؛ لكلٍّ مِن سادَاتهم ومن استحوذت عليهم تلك الصِّبغة، وحفَّتهُم تلك المَثلبة، فيتكرر صنيعهم مرة بعد مرة، وكلّما انتهى تحاجُجُهم وأدركوا أن مصيرهم لا يمكن أن يتغير؛ اندفعت نفوسهم بما يغيظ فيها من الحسرة إلى الجدال تارة أخرى، والإخبار عن الصراع الكلامي القائم بين الطرفين **بالجملة الفعلية** يفيد تجدد الألم من العذاب بتجدد الزمان الأبدي، ونشوب الخصام بينهم في كل لحظة.

---

[11]- إذا أنعمت النظر في النص القرآني؛ تجد أن هذا الفعل يستعمل في أمور المناظرة المؤسسة على الإثبات والبرهان، وتركز في غالب أمرها على أمور عقلية، كما نص القرآن الكريم عن ذلك في مواضع مختلفة، كما هو الشأن مع إبراهيم عليه السلام في الآيات الآتية:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ...﴾ [سورة البقرة الآية 257]. وفي قوله كذلك:﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ...﴾ سورة الأنعام الآية: 81.

ولمزيد تبصر في هذا الموضوع اللطيف، وتضلع من سياقات القرآن في ذلك، وطرائق عرضه للحجاج؛ يرجع إلى كتاب عبدالله صولة-رحمه الله- الحجاج في القرآن الكريم.

[12]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 160/24.

ولا ريب أنّ "محاجة بعضهم لبعض تزيد في غيظ قلوبهم، فكما يعذّبون بنفوسهم يعذبون بضيق صدورهم وببغض بعضهم لبعض"[13]. ويتضاعف ذلكم العذاب إثر الجدال الثائر بينهم مع كونهم كما قال ربُّنا: "**في النار**" إذن، وعاؤهم[14] الذي احتوى تلك الخصومة بين طوائف الهالكين؛ هو نار جهنَّم، وحسب امرئ بيانا لسوء ذلك الحوار في تلك الدار؛ إذ يغشاهم العذاب من فَوقهم ومن تحتهم، فلا يجدون ما ينفّسُ تآكل أحشائهم إثر الحسرة والعذاب، سوى حديثهم مع كبرائهم، فهُم يخفّفون عن أنفسهم بذلك الكلام.

كان ذلكم الحوار محاججةً يفضي بها ضعفاء القوم إلى كُبرائهم؛ علّهم في هذه الغاشية من العذاب أن يكون لهم نصر مبين منهم، أو دفع لشيء مما هم فيه؛ حفاظا على فكرهم الذي دأبوا عليه في اتّباع ساداتهم، وأنهم منفذ خلاصهم ومُستحث حياتهم في دنياهم؛ فأسقطهُم ذلك الفعل في نار جنَّهم، ونتج عنه حوار فيه معاتبة شديدة، وكلام معذِّب فوق عذابهم.

وأمَّا "تقديم قولهم: (إنا كنا لكم تبعا) على طلب التخفيف عنهم من النَّار، فمقدمة للطلب؛ لقصد توجيهه وتعليله وتذكيرهم بالولاء الذي بينهم في الدنيا، فيُلهِمُهم الله هذا القول لافتضاح عجز المستكبرين أن ينفعوا أتباعهم تحقيرا لهم جزاءً على تعاظمهم الذي كانوا يتعاظمون به في الدنيا. ويحتمل أن قول الضعفاء ليس مستعملا في حقيقة الحث على التخفيف عنهم؛ ولكنَّه مستعمل في التَّوبيخ، أي: كنتم تدعوننا إلى دين الشرك فكانت عاقبة ذلك أنَّا صرنا في هذا العذاب فهل تستطيعون الدفع عنَّا، وتأكيد إنَّا كنَّا لكم تبعا بـ(إنَّ) للاهتمام بالخبر وليس لرد إنكار"[15]؛ ليكون ذلك آكد في صحة العلاقة التي احتوت الاتّباع فيما مضى، وعليه ففي الخبر إقرار بالتفاوت الطبقي الذي كان سببا في إثمار التبعية دون انفراد بالرأي.

[13]- لطائف الإشارات، القشيري، 309/3.

[14]- استُفيد هذا المعنى من حرف "في" الدالِّ في أصله على الظرفية.

[15]- التحرير والتنوير، 161/24.

لا تنفك قوارع الولاء والاتّباع الخالص الذي كان سِيرة لهم مع كُبرائهم في الدنيا؛ تزيد الأمر حسرة؛ لأنهم ظنوا أن نجاتهم من هذا الجحيم الذي هم فيه حاصلةٌ بتذكيرهم بما كان منهم، اقتفاءً لأثرهم وهديهم من قبل، والحق أن ذلك لا يغني شيئا.

واحتقابا لهذا المعنى فإن " الاستفهام في قوله: فهل أنتم مغنون؟ مُستعملٌ في الحثِّ واللَّوم على خِذلانهم وتركِ الاهتمام بما هم فيه من عذاب"[16]؛ وذلك لأنَّهم عهِدوا أن يُبذَل الجميل من قِبل ساداتهم، وتحصيل الظفر عن طريقهم؛ لكن هيهات ما أبعد ما فات، فقد تغيّرت الدار، واستوت المراتب، فلا صريخ لهم ولا هم يُنقذون، ولترسيخ الجواب، ونفي كل احتمال:" قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ"؛ أي: كلنا كائنون {فيها} أي النار، كل يناله من العذاب بقدر ما يستحقه سواء إن جادلتمونا أو تركتم جدالنا ولا يظلم ربك أحداً، فلو قدرنا على شيء لأَغنينا عن أنفسنا، ولو سألنا أن نُزادَ أو نَنقُص لمَا أجبنا. فإن هذه دار العدل فاتركونا وما نحن فيه"[17].

فلم يَعد هناك أمل في أوبة تمحو ما كان، فيُستدرك الفعل؛ لئلا تكون الخاتمة هنا، ولذلك حقق القرآن الكريم على لسان أولئك مآلهم "إنّا كل فيها" بهذه الجملة المؤكِّدة للمعنى، الحاكية عن الذات بنفسها في شأن مستقرها، ويؤخذ من قولهم "كلٌّ" تعميم الجزاء على جميع أطراف الفئتين بلا استثناء؛ بحيث لا يُخصَّصُ أحد من هذا الحكم، فقد سرى علينا جميعا، فيتمُّ لهم بذلك التنصل الكامل، والتبرؤ الواضح منهم، فلا يغني أحد عن أحد شيئا.

ثمَّ كيلا يحتدم الجدال أكثر؛ فُضَّ النِّزاع بالعبارة القرآنية التي سيقت؛ لنسف كل أمل؛" إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ"، مصدرة بحرف "إنّ" تأكيدا وتحقيقا؛ حتى لا تبقى فسحة من الشك لهؤلاء الضعفاء تجاه المستكبرين؛ وفي جوابهم؛ بأن الله تمّ حكمه، كثيرُ حسرة على الضعفاء الذين مضى دهرهم في ضلال وهلاك.

[16]- المصدر السابق، 161/24.

[17]- نظم الدرر، البقاعي، 84/17، 85.

ونسبة الحكم لله تعالى دليل على تخلصِّ الكبراء من أتباعهم، ثم إنك ترى أنه عُبِّر عن ذلك **بفعل ماض**-حَكم- انقضى زمنه، إشارة منه إلى أنَّ هذا الأمرَ لا رجعة فيه، فقد فصَل فيه الحاكم، وإيرادُ لفظ الحُكمِ ينّم عن العدل والحق؛ فلم يكن ما صدر من فصْلٍ بينكم مُلتاث بظلم.

ولأنَّ النفس البشرية جُبلت على ابتحاث منافذ النجاة، ومناطات الخلاص؛ نلحَظ تحوَّل الحوار من بين سكنة النَّار مع إخوانهم إلى خزنتها وحرستها؛ محاولة في الوصول إلى لطف رباني ينزع عنهم ما جُوزوا به، كما هو منطوق الآية" وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ"؛ فحاولوا أن يتوسلوا بالملائكة رجاءَ تخفيف لفح النار؛ ظنّا منهم أنَّهم بعد فشَلِ محاولتهم الأولى فيما بينهم، سيجدون ملاذا يتوسط لهم؛ حتى ينالوا ما أملوا فيه، ولو بدعوة تكون بصيصَ نفَس ينفثون منه أليم العذاب في برهة من زمن، ولذا أوثر الظرف أن يكون "**يوما**" نكرة؛ مفيدة لما يمكن أن يسمى تخفيفا ولطفا.

بيد أنَّ الجواب الملائكي كان شديد الوقع، حامي الردّ، فيه وُصوف من خصالهم التي هم عليها؛ كونهم خزنة لجهنم، قد نزعت منهم الرحمة؛ فسيق جوابهم في قالب جملة استفهامية " أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ" للتوبيخ والتقريع[18]، فلم يكن سؤالهم على وجه الاستبانة والتوثق، وإنما لإقامة الحجة عليهم، واستنطاق بلوغ الرسالة من أفواههم؛ بغية أن تجعل الخزنة ذلك حسرة آلمة تخنق نفوسهم؛ لأنهم "يعلمون من ماضي هؤلاء الذين في النار ما لا يشجعهم على الاستغفار"[19] ، ولذلك لمّا رأوا أنه لا ملجأ لهم؛ قالوا: **بلى**، فاعترفوا بمجيء الرسل إليهم، وسماع خطاب الإله عن طريق رسله؛ لكنهم كذّبوا وغيّروا، فتركتهم الملائكة لأنفسهم بقولها:" فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ"، تبكيتا لهم، وتجرعا لمرارة عدم الالتفات إلى طريق النجاة الذين بيَّنته الرُّسل،و" عندئذٍ ينفض الحراس أيديهم من الأمر، في زراية وتهكم،

[18]- فتح القدير، الشوكاني، 4/ 568.

[19]- مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، 166.

ويدعونهم يتولون أمرهم بأنفسهم على يأس من جدوى المحاولة والدعاء"[20]، ولذا قالوا لهم: ادعوا "وإن دعاءكم لا يفيدكم شيئا فما هو إلا في خسران وتبار، وسواء دعوتم أو لم تدعوا فإنه لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم"[21].

انتهى هنا حوار الآبقين مع الملائكة؛ حيث لم يُثمر توسلُهم بهم شيئا، فتُركوا وهمَّهم؛ ومن ثَمَّ كانت هذه الآية ضامّةً لحديث ثنائي؛ تمثل أوّله في محاججة الأتباع للسادة مصوغا ذلك في أفعال مختلفة الأزمنة والأوزان؛ تذكيرا لبعضهم ما كان بينهم، والثاني في مخاطبتهم جميعا لخزنة النار؛ قولا وتوسلا، ونفذْنا[22] من ذلك إلى أنه كلام على وجه الحقيقة لفظا ومعنى وواقعا؛ لأنّ **تكرار** فعل القول مرة بالماضي ومرة بالمضارع "**فيقول، قالوا**"؛ ينصُّ صراحة على أنَّ كلامهم على وجه الحقيقة أصوات مسموعة، وكلمات مفهومة، وأنَّه مقصود في ذاته وأصدائه، وقد اتضح ذلك من خلال ما تخلل الآيات من الإشارات النحوية لا سيما البلاغية التي أكست الآية معنى بديعا، ورونقا حسنا.

ب. المشهد الثاني: البلاغة النحوية في حوارتلاعن أهل النار

نلحظ في موطن آخر ضربا من الجدال والمناقشة؛ الذي اجتمع فيه صنوف من الناس في درك الجحيم مع الجن والإنس، فتكون الطائفة الداخلة لاعنةً لسابقتها، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾[23].

أخبر الله تعالى عمّا تقوله الملائكة لهؤلاء المشركين به، المفترِين عليه، المكذّبين بآياته: بقولهم جزاء لهم: ادخلوا النّار مع أمم أمثالكم وعلى صفاتكم، قد سبقتكم في الكفر، سواء من الجنّ

[20]- نفسه، 166.

[21]- تفسير المراغي، 24/ 80.

[22] النفاذ هنا؛ مراد به بلوغ القصد، ودرك المراد، ولم نتوخ به معنى النفاد بدال مهملة؛ أي: الانتهاء.

[23] سورة الأعراف، الآية 36-37.

والإنس، واختُلف في القائل: إما مالك خازن النّار، أو هو الله عزّ وجلّ، أي أنَّ الله سبحانه قال: ادخلوا، على وجه الأمر، بنفس الفعل الذي عبّر به في المشهد السابق مع اختلاف في الفاعل، وهو هنا نسبَ الدخول لهم، فهم بأنفسهم سيقتحمون عقبة الجحيم، ولمّا كان المدخول فيه نار السعير، لم يُعرب عن **الأمر** بفعل تتلمس فيه البِشارة أو الترحيب، وإنما يُفهم العدلُ من اقتران الفاعل المتمثل في واو الجماعة "ادخلوا"، فلا أحدَ يُرغمكم على الاقتحام، جزاء وفاقا على أنَّ ما كسبتم من كُفر وسيئات كان بما عملته أيديكم. وجِيء بحرف (**في**) "**في** أمم" بمعنى مع[24]؛ أي: ادخلوا مع أمم؛ دلالة على المعية والمصاحبة.

شملت الآية جملة الخلق ممن حقّ عليه الإيمان بالله، وتصديق رسالاته، ولا يُفرّق في ذلك بين إنس أو جن، حيث إنَّ الثقلين[25] نِيطت بهم الرسالات، وأُمروا بما فيها؛ إيمانا واتّباعا، فلمَّا استوى حالهم في التكليف، أُوتي في الآية بجزائهم جميعا، وأن الذين كذّبوا بآيات الله واستكبروا عنها، لهم المآل نفسُه؛ بل هم يزدحمون في قعر النار.

لذلك كان دأبهم داخل العذاب أنه: "**كلّما** دخلت جماعة منهم النّار، ورأت العذاب والخزي والنّكال، لعنت أختها في الملّة والدّين التي ضلّت بالاقتداء بها، إذ هي قد ضلّت باتّباعها وتقليدها في الكفر"[26]، والتعبير عن الواقعة في زمنها بـ"كلَّما" مُشعر بتكرر الأمر على نفس المنوال، كلّما تهيأت أسبابه، وتحصَّلت أطرافه، المتفقة في الأحوال والأفعال، ولذلكم كان من **بداعة القرآن** أنه سمّى الطائفة التي تسنَّنُ بغيرها في الضلال **أختا** لها، إشراكا لهم في الفعل والمذهب وكذلك الجزاء.

---

[24]- الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، 204/7.

[25]- لفظ "الثقلان": يطلق على الإنس والجن جميعا.

[26]- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، 8/ 201.

وتفيد "(لعنت) كل أمة منهم أختها في كل أوقات دخول الأمة منهم، فتفيد **عموم الأزمنة**، وذلك لأن لفظ (أمة)[27] جاء (**نكرة**) وقعت في حيز **عموم الأزمنة**، فتفيد **العموم**، أي: كل أمة دخلت، وكذلك: مفردة (أختَها) هي بدورها "نكرة"؛ لأنه **مضاف** إلى ضمير نكرة فلا يَتعرَّف، فتفيد العموم أيضا، أي كل أمة تدخل تلعن كل أخت لها، والمراد بأختها المماثلة لها في الدين الذي أوجب لها الدخول في النار"[28].

انظر إلى الولاء الذي كان بينهم في الدنيا، كيف تحول في مشهد القيامة إلى حقد كبير، وتنابز خطير؛ بحيث يلعن بعضهم بعضا؟ "فما أبأسها من عاقبة تلك التي يلعن فيها الأخ أخاه!"[29] ولا يُحفظ فيها ما مضى من ودٍّ واقتراب. نعم الأصل كذلك؛ لكنّ المقام مخالف لما مضى، والحال أبشع مما كان؛ فهي منزلة تنمحق فيها كل أواصر الوُدِّ والإخاء.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن **الفرق** بين المشهد الأول والثاني **كامن** في الفعل الذي واجهَ به بعضُهم بعضا؛ فهُم جميعا في النار؛ لكن **المحاججة** في الأول، بخلاف **اللعنة** في هذه الآية، ففي بداية الأمر جرى بين الطائفتين الرؤساء والضعفاء؛ جدال ونقاش لم يرجع عليهم بشيء. وفي هذا الموضع وبمجرد الدخول واجتماعهم في الجحيم يدعو الداخلُ على الطائفة السابقة باللعنة والوبال. وصياغة **الفعل** "لعنت" في قالب **الماضي** إيماء إلى أن ذلك محقق لا محالة، وأنَّه دأبُ اللاحق مع السابق، فكأنَّ **زمن** الفعل هنا يقصُّ شيئا وقع منذ فترة بعيدة؛ ليتنبَّه المتأمل في مثل هذه الآيات إلى أن الأمر كائن، والتلاعن هنالك واصف للحسرة والندم الذي خالط نفوسهم لما تلاحقوا في النار جميعا.

---

[27]- جاء هذا اللفظ نكرة، والنكرة معناها العموم؛ إذ هي مبهمة لا تتصف بالتحديد، فدلّ القرآن من خلالها على أن هذا الشأن كائن في كل طائفة من الخلق= صلح أن تسمى أمَّةً، وكان من هديها تكذيب آيات الله، ورسله.

[28]- ينظر: التحرير والتنوير، 120/8، بتصرف يسير.

[29]- مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، 103.

ثُمَّ لما اجتمعوا جميعا؛ طفقت آخِرُ فرقة منهم –دخولا ورتبة ومكانة- تُلزق التهمة بالأولى التي سبقتها؛ تخلصا من فعلهم، ومحاولة في الخروج من ويل النَّار، وأنَّهم لم يكن لهُم أدنى دَخلٌ فيما جرى من انحرافهم، وتنكُّبهم عن جادَّة الطريق، وهو المنصوص في قول الله:(قَالَت أُخرَىٰهُم لِأُولَىٰهُم رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِم عَذَابا ضِعفا مِّنَ ٱلنَّارِ).

نتلمس هنا في هاته العبارة القرآنية: أنهم لم يقف بهم الحال أن يُلصقوا الإضلال بمن سبقهم من القادة وذوي الشأن؛ بل دعَوا الله أن يزيدهم عذابا مضاعفا على عذابهم هم؛ وذلك بكونهم سببا في دخولهم النار، وابتعادهم عن الطريق مع ما في لفظ "الضلال" من تيه، وتعمية لصوى الطريق، وضياع وراء الأوهام[30].

وفُهم أيضا من سؤال الله تعالى لهم مزيد عذاب، لطيفةٌ أخرى، وهي: "أنه آتاهم عذابا، وهم سألوا زيادةَ قوةٍ فيه تبلغُ ما يعادل قوتَه، ولذلك لمّا وُصف بِضعفٍ عُلم أنَّه مَثل لعذاب حصل قبله؛ إذ لا تقول: أكرمت فلانا ضعفا، إلا إذا كان إكرامك في مقابلة إكرام آخر، فأنت تزيده، فَهُم سألوا لهم مضاعفة؛ لأنهم علموا أنَّ الضلال سبب العذاب، فعلموا أن الذين شرعوا لهم الضلال هم أولى بعقوبة أشد من عقوبة الذين تقلّدوه واتبعوهم"[31]، ومن ناحية نحوية، فإن نعتَ العذاب الذي جاء نكرة بـ"ضِعفا" مخصص له، فليس كل عذاب ينوب مقام النعت؛ بل لابد أن يتحقق فيه وصف الضعف؛ ليكون مستمرا دائما.

[30]- جاء في الصحاح للجوهري: أن من معاني الضلال؛ الضياع والهلاك (ينظر: معجم الصحاح، الجوهري، مادة: ضل). وفي القرآن الكريم ورد هذا اللفظ في مواضع شتى، ومن سبل تضليل السادة أتباعهم؛ توهين الحق في نفوس الناس، ورميه بالأوهام والخيال؛ لينحرفوا عنه إلى ما هم فيه من ضلال حقا.

ونُقل عن ابن عباس في معنى "أضلونا" في الآية؛" أنهم شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلها". ينظر: **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، علي بن أحمد الواحدي، (2/ 366).

[31]- التحرير والتنوير، (8/ 121).

ولكنَّ الحكمةَ الإلهية؛ جاءت بصيغة قرآنيَّة تشملهم جميعا في قضية الجزاء (لِكُلّٖ ضِعۡفٞ) ها أنتم جادلتم بكلامكم؛ فليس لكم مظنَّة النَّجاة، ولذلك آثرت الجملة القرآنية اسم "كل" إمعانا في الاشتمال والتعميم، فلم يستبن العذاب منها، وإنَّما تومئ إلى أن عذابا مضاعفا سيلحق بكل الأمم؛ لكنّه مبهم، فتظل النفوس تعالج العذاب النفسي الذي يحترق لهذا المصير، وعذابا آخر لم تُدرك نُذُره، ويفيد العموم أيضا تأكيدا يتمثل في أنه لا يستثنى أحد منكم من العذاب؛ وبذلك قد رام القرآن الإيجاز بعبارة ترد على الجميع، على أن الجزاء الوخيم "للقادة بالغواية، والإغواء، وللأتباع بالكفر والاقتداء"[32].

ثم ذُيِّلت الآية باستدراك في (وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ) ابتُغي منه نفي العلم عن الأمم التي تداركت في النار جميعا، فليس القادة بإضلالهم الأتباع لهم من العذاب ما يفوق غيرهم، وإنما أبهم ذلك العذاب، وضمِن الله تعالى أنهم لا يعلمون؛ لكيلا تنصرف فُهومهم بناء على سؤالهم السابق أن العذاب المضاعف حاق بالأسياد؛ لأنهم أضلوا كثيرا، وإنما لكل منكم نصيب مضاعف ناجم عما كان منكم من طاعتهم لهم على ضلالهم، وهو ما زادهم ضلالا؛ ظنّا منهم أنهم أفلحوا لما صار لهم أتباع. ثم على إضلالهم لكم ولغيرهم، وفي الاستدراك أيضا مزيد نفي معرفة عن المقادير، وصور التضعيف؛ فيكون ذلك لهم أشد ألماً وأكبر وقعا.

[32]- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (567/1).

المبحث الثاني: بلاغة الحوار والدعاء في كلام أهل النار

يرتام المبحث وقفاتٍ بيانية، نرِي من خلالها محصول آيات الكلام التي تقص علينا أنباء اللابثين في نار جهنم، ونستجلي ترددهم على وِجهات مختلفة، وطرقهم لأبواب متعددة، وتعرب هذه السّطور عن هيمنة الدعاء والرجاء؛ للخلوص من حميم السعير؛ وحتَّى نتبصَّر عن كثب تلك الموارد والفوائد؛ نجعلها في مشاهد آتية:

أ. المشهد الأول: النُظم النحوية والبلاغية في محاورة أهل النار لأصحاب الجنة[33]

ننسئ للقلم لكي يسفر عن الآية الأولى من هذا الطراز التي وقفت عندها مشدوها في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[34].

في هذه الآية مناداة صادرة من أهل النار لأهل الجنة، بعد حوار سابق دار بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، وحينما استقر كل فريق منهم في نُزُله[35]؛ اشتد العذاب بأهل النار، وآلمهم حرّها؛ فجأروا منادين، -*وهذا النداء إنما هو كلام واستنجاد في هيئة الهوان والبوار*- أهلَ الجنة طالبين أن يفيضوا عليهم من الماء، وهنا تظهر **بلاغة** القرآن؛ حيث استعمل **فعلَ" أفاض"** في هذا النداء المسكوب في صورة التوسل **والالتماس**؛ ليصور المشهد بكليته؛ وهو أن أهل النار في الأسفل، وأصحاب الجنة في الأعلى[36]؛ لأنّ **"أفاض"** لا يأتي إلا في مثل هذا المقام؛ أي: أن تلقي الغوث يكون عن طريق إفاضة ذلك من مكان عال إلى آخر أسفل منه، ثم قد يكون مستعملا

---

[33]- كان بالإمكان أن تأتي آية هذا المشهد في الثاني، وآيات الثاني ههنا؛ لكني رجحت هذا الترتيب وفق مجيء الآيات في سور القرآن، إذ غير خاف أن لترتيب السور والآيات حِكما وأسرارا، فانتظمت هذه الآيات وفق ذلك، كانت بدايتها مع أهل الجنة ونهايتها مع خازن النار، وبين ذلك أدعية ورجاء في ذات الله؛ مما يعكس صورة خلاّبة تأسر النُظار في تنوع موارد هذا الخطاب الذي سعت المقالة لتفقه عِبره وقصوده.

[34]- سورة الأعراف، الآية: 50.

[35]- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، (415/1).

[36]- ينظر هذا في المعنى في: الكشاف، (108/2)، وإرشاد العقل السليم؛ (231/3)، وروح المعاني؛ (365/4).

مجازا للدلالة على **الكثرة**؛ أي ماء منصبا[37]؛ مما يزيد إيضاح مبلغ العذاب منهم، وشدة ظمئهم.

وجيء بـ"أو" في هذا المساق للتخيير (أو مما رزقكم الله)؛ أي: أغيثونا بأي شيء مما أنتم فيه من النعيم؛ لندفع به ما نجد من حرِّ الجحيم، طمَعا في التخفيف، واختير **الفعل** "رزقكم" في زمن **الماضي**، وكأن ما أنتم فيه سيق لكم زمانا، إشارة من ستر رقيق إلى علم الله تعالى، وأنه عليمٌ بمآلات الأفراد، كل واحد على حدة، مع إدراك مُفاد الرزق بأنه عطاء لوقت، وهنا في الجنة الزمنُ مطلق، فيكون مستغرِقا لخلود الجنَّة وأهلها، وأنَّه باق ببقائها أبدَ الآبدين، والرزق هو صورة من صور الوعد الرباني، فالفعل الماضي يثخن في المعنى تحقيقا لوعد الله، وأنَّه لا يُخلف ذلك؛ بل إنه لمّا وعد بذلك الرزق، صار حاصلا لمن وجبت لهم الجنَّة، وهنا تتأمل بلاغة القرآن في دِقة التعبير عن الوعد بالرزق، وعن تحقق حصوله قبل أن يُعطى لأهله باختيار زمن الماضي في "رزقكم".

وفي انتظار الغوث كان الجواب أشدَّ إيلاما وقسوة؛ إذ "قالوا: إن الله حرمهما على الكافرين.." والتحريم ههنا تحريم منع وحظر؛ حيث لو كنتم من أهل الإيمان لحظيتم بما نحن فيه، ولكن اتصفتم بصفات لا تُستجدى معها الشفاعة، وطرقتم سبيلا حال بينكم وبين ما ترجون، واختيار التعبير عن المنع **بالفعل الماضي** "حرّم" إشارة إلى أنَّ هذا أمر قُضي قبل ردح من الزمان ليس بالقصير، وجاء التحذير منه في القوانين الشرعية، والرسالات السماوية، وحفاظ القرآن على نمط واحد في الصيغ الصرفية كما في "قالوا" تنبيه مهم للقارئ والمتفهِم بأنّ هذا غيب محكي، سيقع لا محالة، وأنّه حوار طريف ستُسمع ألفاظه بين الجنّة والنّار، وفي هذا قوة نحوية وبداعة بلاغية.

ووُكّد ردّهم ذاك بـ"**إن**" لسدّ بابة الشفاعة والتوسل، ولصَرْمهم عن الحوار معهم، ثم نسبة المنع إلى الله؛ بكونه فاعلا، فائدتها في قطع الأمل عنهم، وتنصلهم من الأمر؛ لئلا يسألوهم ويعيدوا الطلب عليهم، وتركهم في عذابهم يتحسرون، ولكيلا يكون لهم استنجاد تارة أخرى.

[37]- التحرير والتنوير، (184/8).

زيادة على هذا؛ فالقرآن في مفتتح الآية **أعمل الفعل الماضي** "نادى"؛ **لتحقيق** وقوعية المناداة؛ فكأنَّ الأمر قد وقع منذُ زمنٍ بعيد؛ حيثُ عدَل عنْ صيغةِ المستقبل إلى الماضي؛ فكأنَّ المشهدَ رأي عين؛ في حين أنَّ الله سبحانه ينبئنا عن أخبارهم المستشرَفَة؛ ليرسخ في قلوب العالمين أن هذا الشأن واقع لا مراء فيه، وتنزيل المستقبل منزلة المحسوس المشهود، وأن الأمر في تلكم المناداة وإن كان واقعا يوم الجزاء، فإن صيغة الماضي تضفي عليه لطيفة **القرب** وتحقق الوقوع.

ب. المشهد الثاني: نظر نحوي وتوجيه بلاغي لدعاء أهل النار

أمّا الآية الثانية الداخلة في بابة هذا الصنف فهي محض دعاء توجه به أهل الجحيم إلى العلي القدير، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾[38].

مضمون الآية دعاء من أهل النِّار موجه إلى ربِّ العالمين، تتخلله تعليلات أفعالهم النّاجمة عن استيلاء الشِّقوة على نفوسهم، واعترافهم بأنّهم كانوا على ضلالة وحيْدة عن الطريق السوي، وأنّهم ما فعلوا ذلك بمحض إرادتهم؛ بل غُلبوا على شأنهم بسببِ بشريتهم، وفي هذا اختلاف عن الآية السابقة؛ فهنا أرادوا التَّخلص مما هم فيه عن طريق التبرؤ من أمرهم، وتذللهم بَوْحا بذنبهم؛ رجاء أن يستدِرُّوا جوابا يبرِّد عليهم جلودَهم.

لقد عبَّر القرآن الكريم عن هذا الحوار بجمَل **فعلية ماضية دالة** على وقوع الأمر وحصوله المتمثلة في: **"قالوا. غلبت. كنّا"**، وألطف **الأفعال** في الآية "غلبت" حيث المقامُ مقام دعاء، ولابد في التوسل والرجاء من إبراز مكامن الضعف والاستلاب، فعبّروا عما خالج حيواتهم من استكانة إلى الأهواء، بأنَّ ذلك كان عن طريق فعل خارج عن حوزتهم، وهو "غلب" الدال على قوة وقهر وشدة[39]، فهم بذلك قُهروا حتى أذعنت أنفسهم لشهواتهم، فتملكتهم، ولم يكن لهم بعد ذلك القهر قوةٌ يصدون بها الأهواء.

---

[38]- سورة المؤمنون، الآية: 106-108.

[39]- ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، مادة "غ.ل.ب"

وإلحاقهم الغلبة بالشِّقوة، وإعمال القرآن هذا اللفظ بدل "**شهوة**" أو "**أهواء**" أو " **أنفسنا**"، يستدعي التدبر في المعنى المتوخى؛ لأن الشِقوة غالبا ما تكون نتيجةَ تعبٍ وكبير جُهد، فلمَّا تتالت عليهم المعاناة في سبيل التخلص من قهر الهوى والعمى؛ تولج بهم الحال إلى أن صاروا في خضم الشَّقاء، وما هو إلا إيماء إلى محاولتهم بلوغ مراتع السَّعد، فآووا عِوض ذلك إلى منزل النَّكد.

وهذا ما فسّر الكينونة التي احتوتهم حتى جاءت عبارة "كنّا قوما ضالين"؛ أي: بسبب تلك الشقوة التي رتعنا فيها، استغرقنا في ضلال كبير، وأفاد الفعل الناقص "كنّا" مطلق الزمن، وكأننا مذ كان لنا وجود؛ كنا في عمى وهلاك بضلالنا، فتجرد الفعل للدلالة على زمن الوقع، وهو مبهم بحيث لا يظهر منه فترة محددة، مع كونه متجردا من الحدث.

ثم توسلٌ ثانٍ في غمرة هذا العذاب الذي يحيط بهم، وهو دعاؤهم بأن يمنَّ الله عليهم بالخروج منها" أخرجنا منها"، فليس ثمة شيء يعادل في نظرهم هذا الخروج؛ لأن النجاة من لهيبها نِعمة، وأكرم ما يمكن أن يحُلَّ عليهم في هذا الموقف تحقق الخروج، ثم سيقت جملة مبينةٌ حالهم إن بقوا فيها:" فإن عدنا فإنا ظالمون".

ارتأى القرآن الكريم أن يصفهم وعودتهم إلى النار إذا ما أُخْرجوا منها بالظلم، ولا يخفى حقيقة الظلم، فهو في وضعه اللغوي معناه: وضع الشيء في غير موضعه تعديا، وفي مواضع من القرآن الكريم ارتبط الظلم بالكفر[40]، وهذا يرجئنا إلى اعتبار آخر مقتبس من الظلم؛ وذلك أن هؤلاء اعتدوا على أنفسهم فوضعوها في غير ما ينبغي أن تكون فيه، فإن هم عادوا وبقوا في الجحيم، كان ذلك ظلما بيّنا لأنفسهم، ويحتمل أن السَّعير مقامٌ لا يليق إلاَّ بالظالمين[41]، وهؤلاء من جملتهم؛ لأنَّهم أوقعوا الظلم على أنفسهم من جهتين، من جهةِ إشراكهم مع الله غيره، ومن جهة كُفرهم بالرسل والآيات.

---

[40]- بل صرّح ربنا في آية محكمة بأن الظلم كفر محض (وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) البقرة الآية 252. فالظلم هنا تعريف للكفر وخبر عنه؛ توسط ضمير فصل وعماد؛ لترسيخ أنه لا ظلم أعلى وأعتى من الكفر.

[41]- وهذا أيضا تعضده شواهد القرآن حيث وصف أهل الجحيم بالظالمين كم قال سبحانه على لسان أهل الجنة: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف 46.

وعلى هذا، **لا** شك أنهم ههنا" نطقوا بالحقّ ... ولكن في يوم لا ينفع فيه الإقرار، ولا يقبل الاعتذار"[42] ثم أردف الاعتراف بالدعاء: إغراقا في ذلتهم، وتحقيقا لرهبتهم، وكأنهم بذلك قد اقتربوا من منالهم؛ ليأتي الله بجواب في قوله:" قال اخسئوا فيها ولا تكلمون" فهذه العبارة ليست ردا فقط؛ بل تقنيط مميت على سبيل التحقير والترذيل؛ لأن" اخسئوا" يعني انزجروا من خسأت الكلب إذا زجرته، وبناء عليه فهنا تشبيه لحالهم بحال "الكلب" عندما تزجره؛ للدلالة على هوانهم وعدم الاعتداد والاكتراث بأمرهم، فهم كالكلاب؛ بل أشد، وفي ذا عذاب وجداني يمزق الأحشاء مضافا إلى عذابهم الأكبر.

ولم يقف سبحانه في الرد عليهم بهذا فحسب؛ بل قال: "ولا تكلمون" وفي ذلك قطع للأنفاس المعذبة؛ إذ النار تلفح وجوههم وأجسامهم، ونهيهم عن الكلام يتولج بهم إلى عذاب آخر، ومن هنا يستشف تقطع أكبادهم الذي ينم عن حسرتهم وخيبة أملهم. وهم في غمرات العذاب نادمون.

وفي مساق آخر ذكر الله سبحانه شدَّة الجؤار في نداء أصحاب النار؛ حيث تتعالى أصواتهم، ويزدحم بعضهم ببعض؛ فتضيق أرواحهم؛ وذلك في قوله: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[43].

عبَّر القرآن الكريم عن استغاثة أهل النار بـ" يصطرخون"؛ مسبوقا بضمير فصل مع واو الحال؛ ليكشف عن حقيقة هذا الصياح الذي يعتوره الجهد والشدة[44]، وعلى هذا فالاصطراخ **مبالغة** فيه بصيغة الافتعال، كأنّ ألسنتهم اشتعلت بالصراخ، أي أنَّهم يصيحون من شدة ما

[42]- لطائف الإشارات، القشيري، (589/2).

[43]- سورة فاطر، الآية: 37.

[44]- ينظر هذا المغزى في: الكشاف، (615/3)، وروح المعاني، (372/11)، وإرشاد العقل السليم، (154/7).

نابهم[45]، ودال على صوت المعذَّب[46]؛ أي أنهم يرفعون أصواتهم من شدة العذاب ويحسبون بذلك الرفع أنهم أَقْرَبُ إِلَى عِلْمِ الله بندائهم ولإظهار عَدَمِ إِطَاقَةِ مَا هُمْ فِيهِ[47]، وجاء الفعل" يصطرخون" مضارعا؛ ليفيد التجدد والحدوث؛ أي: أن هذا الاصطراخ منهم واقع كل مرة؛ لأن مفتتح الآية التي قبلها[48] فيها تنصيصٌ على عدم موتهم فيها، وعلى نفيِ تخفيفِ العذاب. ودلالة الفعل المضارع تؤذن بتجدد الوجع المبثوث خلال ذلكم الدعاء.

ودعاؤهم هذا يختلف عن الذي سبقه-أي: الآية السابقة-؛ وهو أنهم طلبوا الخروج ليعملوا صالحا و"تقييدِ العملِ الصَّالحِ بالوصفِ المذكورِ للتَّحسرِ على ما عملوه من غيرِ الصَّالحِ والاعترافِ به والإشعارِ بأنَّ استخراجَهم لتلافيهِ وأنَّهم كانُوا يحسبونه صالحاً والآنَ تبيَّن خلافُه"[49]، وهذه الأوبة هي تدارك منهم؛ لكنها إنابة بعد إبَّانها[50]، ثم جاء الرد الرباني مصوغا في قالب استفهامي؛(أولم نُعمّركم) للتقريع والتوبيخ[51]، والمعنى أننا أمهلناكم في الدنيا وعمرناكم فيها؛ فلم تعملوا؛ إذ مقتضى لفظ "**عَمَر**" –*الذي لم يُؤثر غيره كأسْكَناكم أو بيّنا لكم*- أن تستجيب أزمنتكم التي قضيتم في دنياكم، فتملأوا من صالح الأعمال تلك السنين من أيامكم صحائفَكم، لكن لم يكن ذلك منكم، فبان أنكم لم تَعمروا أعمارَكم، وإنما خرّبتموها بظلمكم لأنفسكم عندما لم تستجيبوا للنذير، فنجم عن هذا أن تتّقّدَ حسرتهم، فيعالجوا من ذلك عذابَ جهنم وحسرتَهم على حياتهم التي ذهبت سدى؛ وهذا ممّا يزيدهم صراخا بدلالة الفعل المضارع.

---

[45]- التحرير والتنوير، (318/22).

[46]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (242/26).

[47]- التحرير والتنوير، (22/ 318).

[48]- وهي قوله تعالى: ﴿لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفَّف عنهم من عذابها﴾ فاطر الآية 36.

[49]- إرشاد العقل السليم، (154/7).

[50]- ينظر: التحرير والتنوير (319/22).

[51]- ينظر: الكشاف، (615/3). التحرير والتنوير، (319/22).

ثم ختمت الآية بقوله: "**فذوقوا**" فعل أمر حذف مفعوله وتقديره ذوقوا العذاب، والذوق في هذا المقام الفظيع تهكمٌ[52] بأهل النار؛ لأنّ فعل الذوق يكون في الطيّب الحسن، وغالبا ما يرتبط بالطعام، وليس لهؤلاء سوى طعام من عذاب، فتكون مخاطبتهم بهذا التعبير أشد إيلاما وقسوة، ويُحمل كذلك على الكناية لعدم خلاصهم من العذاب، ولكون "ذوقوا" مستعمل على وجه الديمومة[53].

وخُتمت الآية بنفي النصر عن الظالمين، وتردد لفظ "الظلم" هنا مرة أخرى؛ ليتقرر ما ذكرناه من قبل أن الجحيم مأوى الظالمين، وأنّ من أكثر الأسباب الموجبة للنار الظلم؛ خاصّة ما تمحض للشّرك والبغي على الناس، وأُكد هذا النفي بإقحام حرف "من" قبل الاسم النكير "نصير"؛ مبالغة في النفي، وأنَّ هؤلاء يكون لهم البتة أي نصير كيفما كان حاله.

ج. المشهد الثالث: تحليل لغوي لتوسل أهل النار بخازن جهنَّم

عندما خالط اليأس نفوسَ أولئك الظالمين، وقد احترق إثر ذلك وجدانهم؛ حاولوا أن يجعلوا بين الرب عزَّ وجلَّ وبينهم واسطة؛ تتوسل الله لهم لِيُزيل عنهم ما هم فيه من العذاب بأي شيء كان؛ وقد مضى في المبحث الأول إبهام لشخص الخزنة؛ إذ جاء مجملا؛ لكنّ هذه المرة في هذا الموطن؛ أفصح القرآن الكريم عن المخاطَب؛ وذاك في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[54]

هذا كلام من نوع آخر مُوجَّه بالتحديد إلى خازن النار "مالك"؛ وهو فظيع الوجه، منزوع الرحمة؛ لا يَقْبَل أسفَ أهل الجحيم، وكان مبدأ الآية "ونادوا"؛ فهذي الجملة تحتمل أن تكون حالا، بصيغة الفعل الماضي -كما سلف-؛ تُوخي منه تحقيق تواصل أهل النار مع مالك، ومحاورته توسلا عنده، فلتقريب صورة المشهد إلى أذهان الخلق؛ عُدل إلى صيغة الماضي بدل

[52]- لمعرفة نكت التهكم وحيثياته؛ يرجع لمقالة الأستاذ سعيد العوادي تحت عنوان: الاستراتيجية التلميحية في القرآن الكريم من خلال "كشاف" الزمخشري **آلية التهكم** مثالا، في كتاب "**البلاغة المعجزة**" ص 328.

[53]- ينظر: التحرير والتنوير، (320/22).

[54]- سورة الزخرف، الآية: 77.

المستقبل؛ لأن هذه المناداة مما سيقع في النار، فقرّب الماضي وقوعها، وحقق وصفها، وأثبت كينونتها، كأنها قد وقعت من قبل.

وأمّا **اللام** في "ليقض" فهي لام الدعاء، والقضاء هنا معناه: الإماتة؛ أي ليقض علينا ربك، فنموت موتة نستريح بها من عذاب جهنم؛ واستعمل فعل "قضى" كناية عن الموت؛ ليكون ذلك الفعل منه إنفاذا فلا يبقي أحدا، أو أنه منتزع من القضاء؛ بأن يكون قضاؤه عليهم بمحكم العدل والقضاء.

وقُرئ (مالك) بالترخيم "مال" وَوُجِّه ذلك بتوجيهات؛ أحسنها ما ذَكره ابن جني في عبارة نفيسة من دُرره: "هذا المذهب المألوف في الترخيم، إلا أن فيه في هذا الموضع سرا جديدا، وذلك أنهم -لعظم ما هم عليه- ضعفت قواهم، وذلت أنفسهم، وصغر كلامهم؛ فكان هذا مواضع الاختصار ضرورة عليه"[55]؛ أي لما خارت قوتهم كان الاختصار كاشفا عن الذي هم فيه، وهذا يُبدي جواب السؤال عن كيفية دعائهم. وبلاغة الآية في كلمة "**ليقض**"، انتهت السبل، وانقطع الأمل، وتعبت النفوس، واحترقت الأبدان؛ فأرادوا أن تزهق مهجهم؛ لينزاح عنهم العذاب.

لكن –للأسف- لم يتحقق دعاؤهم هذا، فرد عليهم مالك[56] -بعد ألف سنة[57]- قال إنكم ماكثون، جواب يعيد البداية من جديد، جواب يذكي الألم أكثر فأكثر.. بل جواب جامع ينفي الموت وينفي الخروج، وبهذا فهو جواب قاطع لما قد يسألونه من بعد[58]، وهنا مشهد من أفنان البلاغة؛ أن الجواب مخالف لما سلف من سؤالهم بإتيان الرسل إليهم؛ فهنا لم يُقم الحجة عليهم؛ ولم يوجه إليهم عتابا؛ وإنما جعلهم في احتراق ولهيب؛ إلى أن أُذن له بأن يقول لهم ما سمعوا.

---

[55]- المحتسب، ابن جني، (257/2).

[56]- قال القرطبي في تفسيره في تعريف مالك هذا:" هو خازن جهنّم، خلقه لغضبه، إذا زجر النّار زجرة واحدة أكل بعضها بعضا"(116/16).

[57]- وقيل: غير ذلك، لمزيد اطلاع ينظر: تفسير القرطبي، 116/16.

[58]- التحرير والتنوير، (260/25).

خاتــمة

قرَّ في نهجِ الباحثين أن الخاتمة معقلٌ تأوي إليه خلاصات البحث ونتائجه، ويَلمُّ ما انتشر في تضاعيف التحرير والتحليل، وليس المقصود ههنا ترديد ما سلف، وإنما نسوق جملة من الفوائد نُراها نخيلة الصفحات، منها؛

- أن كلام أهل النار تنوعت أوضاعه، وتعددت موارده، وتباينت صيغه وعباراته؛ فتارة يؤتى بالجملة الفعلية المضارعة مفيدة تكرر الحدث، وتجدده على الدوام، وتارة جملة اسمية لتحقيق الاستمرار وثبوت الأمر قبل زمن التكلم.
- هيمنة صيغ الفعل الماضي في الآيات على تصوير مشاهد تلك الأحاديث، مما أفاد تأكيدها، وضمان تحققها في المستقبل؛ لأن عدول القرآن عن أفعال الاستقبال إليها لغرض التحقيق أصالة.
- عناية القرآن بتصوير دقيق لدركات أهل النار، وما يحيط بهم من ألوان العذاب، واقتران لفظ العذاب في أكثر من موضع بوصف مختلِف عن سابقه.
- تنوع صيغ أدعية أهل النار بين الرجاء في الخروج، والقضاء عليهم فيها، وتمني الرجوع إلى الحياة.
- تخلل فعل القول مختلِف تلك الحوارات دليل على حقيقة الكلام، وأنه ليس تخييلا، أو كلاما نفسيا؛ بل هو خطاب لساني صريح.
- اختلاف الفئة المسؤولة؛ فمرة الله سبحانه، ومرة أهل الجنان وتارة أخرى خازن جهنم، وكل هذا مبين عن جهدهم المبذول؛ كي يخرجوا مما هم فيه، والجامع في تلك المشاهد هو أن السائل واحد، والمسؤول متعدد.
- تنويع القرآن الكريم لكلام أهل النار مع فئات مختلف عكس صورة فنية تبعث الشوق وتطرد السأم، مما يُبين عن أحقية هذا الخطاب بالافتكار والاعتبار.

- خروج الاستفهام عن مقتضى الظاهر إلى معاني مستعارة تأرجحت بين التوبيخ والتهكم لا سيما التقريع.
- غرض أهل النار من كلامهم تخفيف العذاب الحسي والمعنوي عن طريق الحجاج والاعتراف والتمني.
- ركز المقال على إبراز أثر الصيغ الفعلية وحروف المعاني وكذا الناسخة في تقرير خفايا الآيات، والإشارات التي تُستل عن معاينة وتفهم.

وبهذا؛ حاولت هذه الكلمات مقاربة كلام لطيف تردد في القرآن من ناحية نحويّة وبلاغيّة، والمؤمل أن تتسع هذه المقالة إلى فصول تستوعب جميع المواضع التي انبث فيها خبر أهل النار؛ لمزيد تبصر في حقائقها، وتذوق بلاغتها، وحسن اختيار مفرداتها وتراكيبها.

وأما وصيةُ هذه المقالة فهي في حثِّ البحَثة على استنطاق النص القرآني، وأن يستنفروا كبائر جهدهم في طرائف هذا الكلام، وأن يكون مأمَّ تدبرهم؛ لأنه عائد بعلم كثير، وفهمٍ كبير.

مسرد المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أبو السعود. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

الدرويش، محيي الدين. *إعراب القرآن وبيانه*. ط.4. حمص- سورية: دار الإرشاد للشئون الجامعية، 1415هـ.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. *تاج اللغة وصحاح العربية*. تح: أحمد عبد الغفور عطار. ط.4. بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ.

ابن عاشور، الطاهر. *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. تونس: دار التونسية للنشر، 4981م.

البركتي، محمد. *التعريفات الفقهية*. ط.1. د.م.: دار الكتب العلمية، 1424هـ.

المراغي، أحمد بن مصطفى. *تفسير المراغي*. ط.1. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، 5361هـ.

الزحيلي، وهبة. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. ط.2. دمشق: دار الفكر المعاصر، 1418هـ.

القرطبي، شمس الدين. *الجامع لأحكام القرآن*. تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط.2. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ.

الألوسي. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تح: علي عبد الباري عطية. ط.1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.

الحملاوي، أحمد. *شذا العرف في فن الصرف*. صيدا- بيروت: المكتبة العصرية، 1436هـ.

الصابوني، محمد علي. *صفوة التفاسير*. ط.1. القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، 1417هـ.

الشوكاني، محمد. *فتح القدير*. ط.1. دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم، 1414هـ.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. ط.3. بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ.

القشيري، عبد الكريم. *لطائف الإشارات*. تح: إبراهيم البسيوني. ط.3. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت.

الموصلي، أبو الفتح عثمان بن جني. *المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها*. د.م.: وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ.

النسفي، أبو البركات عبد الله حافظ الدين. *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*. تح: يوسف علي بديوي، تق: محيي الدين ديب مستو. ط.1. بيروت: دار الكلم الطيب، 1419هـ.

ابن الحجاج، مسلم. *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*. تح: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.

قطب، سيّد. *مشاهد القيامة في القرآن*. ط.7. بيروت: دار الشروق، 1404هـ.

الرازي، فخر الدين. *مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير*. ط.3. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420.

ابن فارس، أحمد. *مقاييس اللغة*. تح: عبد السلام هارون. د.م.: دار الفكر، 1399هـ.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. ط.3. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ.

البقاعي، إبراهيم. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د. ت.

الواحدي، علي بن أحمد. *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*. تح: عادل أحمد عبد الموجود. ط.1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.